كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

المرحلة : ألـثانـية

استاذ المادة : وليد سامي خليل سبع

اسم المادة باللغة العربية : الأدب الإسلامي

اسم المادة باللغة الانكليزية: Islamic literature

اسم المحاضرة الثانية باللغة العربية : حالة الشعر في صدر الاسلام

اسم المحاضرة الثانية باللغة الانكليزية: The state of poetry in early Islam

هذان التعليقان البسيطان يوضحان أن قول الرسول(صلى الله عليه وسلم) لم يكن مطلقاً على جميع الشعراء وإنما أراد به نوعاً معيناً منهم ولا بد أن يكون الشاعر الذي عرض له قد أنشده شعراً يخالف مبادىء الإسلام أو يدعو فيه الناس إلى محاربة الرسول(صلى الله عليه وسلم) والدعوة الإسلامية وقد فهم أبن رشيق أن وصف الرسول(صلى الله عليه وسلم) الشعر بالقيح ليس عامة وإنما هي (على من غلب الشعر على قلبه، وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن).

أما إذا صحت تتمة الحديث (لئن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير من أن يمتلىء شعراً قيل في هجائي) فإن هذه التتمة تدرج الحديث مع الآية الكريمة (والشعراء..) ولا يحتاج فيها إلى تأويل أو تعمق في التفكير فالنهي يكون منصباً على الشعر الذي قيل في هجاء الرسول(صلى الله عليه وسلم) والذي هو بحد ذاته هجاء للإسلام والمسلمين والعداء للدعوة الإسلامية وقيمها، وهذا ما اندرج في الآية الكريمة ضمن الشعراء الغاوين فقد قيل إن السيدة عائشة رفضت هذه الرواية وقالت: «لم يحفظ أبو هريرة الحديث إنما قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) : لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً، ودماً خير له من أن يمتلىء شعراً قيل في هجائي».

وهناك قول الرسول بشأن الشاعر امرىء القيس يفهم منه على الظاهر موقف قاس إزاء الشعراء خاصة وشعراء ما قبل الإسلام عامة وهو قوله(صلى الله عليه وسلم)

(امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار)

أو (أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار).

وفي رواية أخرى فيها تفصيل أكثر لحال هذا الشاعر في الدنيا والآخرة وهي:

(ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها سيء في الآخرة خامل، فيها يجيء يوم القيامة ومعه لواء الشعراء إلى النار). وإذا اكتفينا بالرواية الأولى لكونها واردة في واحد من كتب الصحاح واستبعدنا الروايتين الأخيرتين الواردتين في كتابين أدبيين فإن وصف امرىء القيس يجعل القاريء في حيرة قد تقوده إلى فكرة خاطئة عن مفهوم الإسلام للشعر ونظرته إلى كبار الشعراء فامرؤ القيس الذي

شمخ بشعره بين شعراء قبل الإسلام وبعده يصفه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه قائد الشعراء إلى النار..

هنا لابد من وقفة تأمل وتحليل فالرسول(صلى الله عليه وسلم) عربي بذوقه الرفيع وبلاغته التي جعلت أقواله وأحاديثه أعلى نمط أدبي عرفته اللغة العربية بعد القرآن الكريم فكيف يحط من شأن شعر امرىء القيس ويجعله قائد الشعراء إلى النار لابد إذن أن يكون حكمه منصباً على جوانب معينة من شعر امرىء القيس أعني بها الصور الوصفية الفاحشة في غزله التي تتنافى مع مبادىء الإسلام ودعوته إلى العفة والخلق القويم وليس المراد به شعر الشاعر عامة أو شخصه على الحقيقة لأن الحديث الشريف فيه توجيه آخر لشعراء المسلمين ليسلكوا سبل الخير في أشعارهم فمن كان على شاكلة امرىء القيس في شعره الماجن أو غزله الصريح يكون مصيره النار ولا يفهم منه أن امرىء القيس هنا حامل لواء الشعراء إلى النار على الحقيقة لأنه عاش قبل الإسلام، والإسلام كما يقول الحديث النبوي الشريف - يجب ما قبله ، وهكذا يندرج هذا الحديث مع نظرة القرآن إلى الشعر ومع المبادىء التي دعا إليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ووجه المسلمين إليها في حياتهم اليومية ليكون الخير متمثلاً في أفعالهم وأقوالهم. ومثل هذا يمكن أن يوجه قوله (عليه الصلاة والسلام) (من قال في الإسلام شعراً فلسانه هدر) .

ولا يمكن أن نقبل إنكار الرسول(صلى الله عليه وسلم) لوجود الظاهرة الشعرية في المجتمع العربي، ولا أن يمنع العرب عن قول الشعر وهو الذي يقول:(لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين) وقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: كان الشعر أحب إلى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) من كثير من الكلام).

فالشعر جزء من حياة الحرب ووجودهم ولا يمكن أن يهجروه في أي حال من الأحوال كما لا يمكن أن يدعو الرسول(صلى الله عليه وسلم) إلى مخالفة الطبيعة العربية والإنسانية لكون الشعر مظهراً من مظاهر الإبداع الفكري الإنساني وهو العربي الذي يعجب بالكلام الفصيح، ويهتز للشعر الجميل فقد ذكر أنه وصف، شاعراً - في قصة أحد الوفود - بقوله: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة أو حكماً).

أي أن البليغ يبلغ ببيانه ما يبلغه الساحر بلطافة حيلته في سحره وهناك أقوال أخرى أكثر وضوحا لكونها مبينة لموقف الرسول(صلى الله عليه وسلم) من

الشعر وتقسيمه الى ضربين كقوله(صلى الله عليه وسلم) : (إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق فهو حسن وما لم يوافق الحق فلا خير فيه). وقوله: (إنما الشعر كلام، ومن الكلام طيب وخبيث).

وفي رواية أخرى تشبه في معناها ما سبق وهو قوله(صلى الله عليه وسلم) «الشعر

بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام>>.

وفي هذا توجيه الشعر ليكون موافقاً للحق والخير مسهماً في البناء والإصلاح والتهذيب وهو في توجيهه العام ينسجم مع قوله الآخر(صلى الله عليه وسلم) <<بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»

إن مثل هذه الأقوال توجه الشعراء وجهة معينة فيما ينظمون توافق الخط العام المراد تحقيقه ضمن مبادىء الإسلام المعلومة فمثلما يراد من العربي أن يكون دوره فعالاً في جماعته يراد من الشاعر الأمر ذاته ألا يعيش على هامش الحياة لا رأي له كما يرفض منه موقف المسهم في الهدم والتخريب عكس الشاعر الذي يلتزم جانب الحق والخير. مسخراً موهبته تجاههما فمهمة الشاعر كبيرة وموهبته تلقي عليه تبعة بناءة فعالة، فهو يستطيع أن يكون وسيلة اصلاح بين الجماعة الإسلامية أو القبائل العربية كما أنه يمكن أن يكون وسيلة تعبير جميلة تصف الحياة العربية وتعبر من هواجس العربي ومشاعره،

يقول الرسول(صلى الله عليه وسلم) :

((الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في بواديها، وتسل به الضغائن من بينها)). فغاية الشاعر هنا التعبير عن واقع الحياة العربية من جهة وإصلاح ذات البين من جهة وكأن الشاعر رسول الخير والاصلاح ولسان حال القبيلة والأفراد في البادية وهكذا نجد مهمة الشاعر تتجاوز الالتزام بمبادىء الدعوة إلى التعبير عن مواقف الخير مطلقة عامة وكلام الرسول(صلى الله عليه وسلم) هنا عام يدرج ضمن موافقة الشعر الخير أي خير سواء أكان الشاعر قبل الإسلام أو بعده المهم أن شعره يتخذ صفة الحسن ما دام دائر ذلك الخير والحق.

إن مهمة الشاعر تفوق مهمة الفارس أحياناً إذا أحسن استخدام موهبته الشعرية فكان عنصراً فعالاً في مجتمعه ينير سبيل الخير والحق والمحبة والسلام أو يحرك مشاعر العطف والحنان إذا اقتضى موقف ما وساطة شاعر والرسول

(صلى الله عليه وسلم) نفسه قضى حاجات عرضت له شعراً لما أثاره أصحابها من مشاعر المودة والعطف. هذا في الإطار الشكلي العام أما إذا بحثنا عن واقع الحركة الشعرية في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) فإننا نجده مجسدة للأقوال الكريمة نعني بها إعطاء الشاعر مهمة كبيرة في مجتمعه وإدراج ما يقوله ضمن التصرفات الإنسانية التي يفترض فيها أن تكون مهمة في البناء ونشر الدين.

حالة الشعر في صدر الاسلام

أ-اتجاه الشعر نحو الالتزام بالدين والمثل الاسلامية.

لقد تنبه ابن سلام الى دوافع القول الشعري حين جعل كثرة الحروب سبباً في نشاط الشعر وكثرته قال : فالذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ، ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان والطائف فيكون من الطبيعي أذن أن نجد كثرة في شعر قريش الذي قالته بعد الاسلام قياساً إلى ما قبله لوقوفها موقف المجابهة الفعلية والحرب الضارية ضد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مما استدعى مصاحبة الأشعار للأحداث التي مرت في هذا الوقت فقد ذكر ابن سلام ايضاً أن قريشاً صارت بعد ظهور الاسلام تستعين بشعرائها لهجاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) واصحابه المسلمين.

لكن ما نجده في المصادر العربية من هذا الشعر قليل اذا ما قورن بما وصل الينا من شعر المسلمين . و لابد أن يكون الشعر الضائع نظير قوة اندفاع شعراء المسلمين في الرد عليه ودليلنا على هذا ما يأتي :

1-تشجيع الرسول(صلى الله عليه وسلم) مع الشعراء على قول الشعر مما سيرد تفصيله .

2- إن في دواوين شعراء الدعوة الإسلامية إشارات كثيرة واضحة تدل على كون بعض قصائدهم نقائض يردون بها على قصائد قالها المشركون وقد تذكر هذه المصادر بعض أبيات شعر الشاعر المشرك ثم تتلوها بقصيدة الشاعر المسلم فقصيدة حسان التي يقول فيها:

وذهبت بابن الزبعري وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل

تقع في سبعة عشر بيتا يرد فيها على قصيدة الزبرقان بن بدر التي هجاه فيها وهجا

المسلمين كان منها:

يا غراب البين أسمعت فـق إنما تنطق شيئاً قد فعـل

أما كعب بن مالك فإننا نجد في ديوانه أيضا إشارات إلى نقائض قالها رداً على شعراء المشركين كقولهم «قال يرد على ابن الزبعري» أو عبارة و أجاب ضرار بن الخطاب يوم بدر فقال: «وقال يجيب هبيرة بن أبي هبيرة» وقد بلغ عدد نقائض كعب بن مالكالتي قالها في الرد على شعراء المشركين ست نقائض أطولها تقع في ستة وأربعين بيتا فهناك إذن قدر هذه النقائض من شعر المشركين مما ضاع ولم يصل إلينا.

2- والدليل الثاني على كثرة شعر المشركين في حينه وقلة ما وصل إلينا منه إننا نجد عبارات يوصف بها بعض شعرائهم بما يوحي بكثرة أشعارهم أو جودتها:

فالزبرقان بن بدر المع شعراء المشركين، وأشدهم عداوة للمسلمين وهجاء لهم وتحريضاً عليهم وصفه ابن سلام بأنه كان أبرعهم شعراً وضرار بن الخطاب فارس قريش و شاعرهم.